التحولات الكبرى في المسيحية تجديد أم تبديد –محطة بولس الطرسوسي–

The major transformations in Christianity renewal or dissipation - the station of Paul of Tarsus -

محمد بويحي[1*]، د.عنتر قجور[2]

[1] جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية –خروبة، الجزائر،

com.gmail@1990mohamedbouyahia

[2] جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية –خروبة، الجزائر،

Antar.Kedjour @Gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/02 تاريخ القبول: 2022/05/20 تاريخ النشر:2022/06/14

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز التحولات الكبرى في الديانة المسيحية عبر محطة بولس الطرسوسي الطرسوسي –الذي يعتبر الشخصية المحورية في هذه التحولات– على مستوى العقيدة، من عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام إلى عقيدة التثليث والفداء والخلاص التي أحدثها بولس، ومحاولة الكشف عن حقيقة هذه التحولات وإمكانية اعتبارها تجديدا في هذه الديانة السماوية أم أنها تبديد لأصولها الأولى التي جاء بها المسيح عليه السلام، بعد معرفة ماهية هذا التجديد.

أما النتائج التي أفرزها البحث فأهمها أن هذه التحولات بددت أصول الديانة المسيحية خاصة فيما يتعلق بطبيعة المسيح، حتى أفضت إلى تحريفها من التوحيد إلى التثليث تحت مسمى التجديد المسيحي. ودعوة الأمم الوثنية كفكرة تجديدية جاء بها بولس الطرسوسي كانت السبب الأساس في تسرب العقائد الوثنية الفلسفية للديانة المسيحية، مما أدى إلى التنازل عن الناموس وفصل المسيحية عن الديانة اليهودية.

الكلمات المفتاحية: التحولات الكبرى؛ المسيحية؛ التجديد؛ بولس الطرسوسي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This study aims to highlight the major transformations in the Christian religion through the station of Paul of Tarsus - who is considered the central figure in these transformations - at the level of faith, from the doctrine of monotheism that Christ, peace be upon him, brought to the doctrine of the Trinity, redemption and salvation brought about by Paul, and an attempt to reveal the truth These transformations and the possibility of considering them a renewal in this heavenly religion, or is it a waste of its first origins that Christ, peace be upon him, brought, after knowing the nature of this renewal.

As for the results produced by the research, the most important of them is that these transformations dispelled the origins of the Christian religion, especially with regard to the nature of Christ, until it led to its distortion from monotheism to the Trinity under the name of Christian renewal. And calling the pagan nations as a renewal idea brought by Paul of Tarsus was the main reason for the infiltration of pagan philosophical beliefs into Christianity, which led to the abandonment of the law and the separation of Christianity from Judaism.

Keywords: major transformations; Christianity; renewal; Paul.

1.مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ولي الصالحين وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدّين.

التّعريف بالموضوع:

إن الحديث عن التحولات الكبرى في الديانة المسيحية على مستوى العقيدة من عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام إلى عقيدة التليث والصليب التي جاء بها بولس أخذ حيّزا واسعاً في كتابات رجال الفكر الغربيين منهم والعرب بشتى أديانهم وأطيافهم، كانت معظم كتاباتهم تبرز الجانب المشرق من هذه التحولات.

أما محاولة الكشف عن حقيقة هذه التحولات، لمحاولة معرفة اعتبارها **تجديدا** في هذه الديانة السماوية أم أنها **تبديد لأصولها الأولى التي جاء بها المسيح عليه السلام**، هذه الجزئية من البحث لم تظفر بالدراسة الكافية للإجابة عن السؤال الذي طرحناه عن هذه التحولات هل هي من قبيل التجديد المحمود النافع للديانة أم أنها من قبيل التبديد المذموم المفضي إلى التحريف.

ولمحاولة الكشف عن هذا الجانب من هذا الموضوع، لابد من دراسته في إطاره المكاني والزماني، في إطار ظاهرة الصراع الديني المسيحي بداية من **المحطة الأولى التي مثلتها شخصية بولس الطرسوسي وهي موضوع بحثنا**، والجدير الذكر أن هذه التحولات أفضت إلى انقسام الديانة المسيحية أولا إلى **كنيسة أرثوذوكسية وكاثوليكية ثم بروتيستانتية ثم طوائف كثيرة من كل هذه المجموعات الكبيرة**.

هذه الظروف كشفت إلى حد ما عن طبيعة هذه التحولات على أنها تبديد لأصول الديانة المسيحية وللتعاليم التي جاء بها المسيح، أكثر منه تجديد كما يبدو في الظاهر والذي يدعيه أكثر المسيحيين.

أهداف البحث:

إن الهدف من هذا البحث إنما هو محاولة لمعرفة حقيقة وطبيعة هذه التحولات الكبرى في الديانة المسيحية من خلال محطة بولس الطرسوسي، قصد معرفة اعتبارها تجديدا في هذه الديانة السماوية أم تبديدا لأصولها الأولى للتعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام، ثم محاولة الكشف عن حقيقة هذا التجديد في المسيحية أهو من قبيل التجديد المحمود النافع للديانة المسيحية أم أنه من قبيل التبديد المذموم المفضي إلى التحريف.

إشكالية البحث:

إذا كان الصراع الديني المسيحي منذ فجر المسيحية من خلال محطة بولس الطرسوسي قد أنتج هذه التحولات الكبرى في المسيحية، خاصة على مستوى العقيدة فإن هذه الظاهرة تجعلنا نقف أمام الإشكالية التالية:

ما هي حقيقة التحولات الكبرى في المسيحية؟ وما هي حقيقة شخصية بولس الطرسوسي التي كانت تقف وراء هذه التحولات الكبرى؟ وما هي حقيقة التجديد؟ وما هي طبيعة هذه التحولات الكبرى أهي من قبيل التجديد المحمود أم من قبيل التبديد المذموم؟

المنهج المتّبع: ولأن طبيعة الموضوع المدروس يتسم بالطابع التاريخي آثرت أن أجمع بين مجموعة من المناهج بداية **بالمنهج الوصفي التاريخي**، ولكي لا يكون الموضوع مجرد سرد للأحداث ارتأيت أن أدعمه بمنهج ثاني وهو **المنهج التحليلي** الذي يسعى إلى معرفة حقيقة هذه التحولات و أسبابها.

ولا يمكن رسم صورة كاملة للموضوع محل الدراسة إلا عن طريق استقراء النصوص الخادمة للموضوع عملا بالمنهج الاستقرائي التّحليلي: هو منهج يعتمد على تتبع الأحداث و استقرائها من النصوص وفق تسلسل زمني محدّد ومعيّن، يتعيّن على الباحث من خلاله رصد تلك التحولات، ثم تحليل الظاهرة ومعرفة أسبابها و نتائجها، و الشخصية الفاعلة في هذا الصراع وهي شخصية بولس الطرسوسي كشخصية بارزة في المحطة الأولى.

ثم المنهج النقدي المقارن: بعد الاطلاع على نظرة الفريق المخالف في المسائل التي عالجها الموضوع ودراسة أدلته ووجه الاستدلال بها، نأتي بالرأي المخالف مدعمين رأينا بالأدلة من خلال كتب الخصم ما أمكن ذلك دراسة علمية موضوعية.

الدّراسات السّابقة:

أشرت في بداية مقدمة البحث أنّ الحديث عن تاريخ ظاهرة الصراع الديني المسيحي والتحولات الكبرى في المسيحية من خلال محطة بولس الطرسوسي، خاصة على مستوى العقيدة، ثم التساؤل عن هذه التحولات الكبرى إن كانت من قبيل التجديد المحمود النافع للديانة المسيحية أم أنه من قبيل التبديد المذموم المفضي إلى التحريف و حقيقة هذا التجديد و–هي الجزئية المحورية في البحث– والتي كانت نتيجتها ظاهرة انقسام الديانة المسيحية فيما بعد إلى فرق أرثوذكس وكاثوليك ثم بروتستانت الذي انقسم بدوره إلى طوائف، لم يظفر بالحيّز الواسع في الكتابات العربية من المسلمين والمسيحيين أو الغربيين إلا دراسات قليلة حسب اطلاعي، ومن أهم هذه الدراسات الكتب التالية:

(1)– تجديد الفكر الديني في المسيحية لصموئيل رزقي القس، إهتم الكاتب فيه ببيان ماهية التجديد في الفكر المسيحي وأنه سمة متجذرة في المسيحية ثابتة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مدعما رأيه بأمثلة، ثم عرَج على التجديد في العصور الوسطى والإصلاح البروتستانتي وصولا إلى التاريخ المعاصر، وختم كتابه بالحديث عن الآثار الإيجابية و السلبية للتجديد، معتبرا إياه ظاهرة إيجابية.

(2)– طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون لأحمد عبد الوهاب، كشف فيه الكاتب الوجه الحقيقي عن فئة الموحدين في الديانة المسيحية وأنها لم تكن طائفة صغيرة بل كانت تشكل فئة عريضة من المجتمع تدعمها ثلة من العلماء المعتبرين في زمانهم، وأنهم لم ينقطعوا عن مسرح الأحداث رغم ما تعرضوا له من إضطهاد وتعتيم إعلامي طيلة قرون متتالية، الكتاب لم يشر إلى موضوع التجديد من خلال التحولات الكبرى في المسيحية.

(3)– ما لا تعرفه عن المسيحية حقائق مفقودة في عمق الإيمان المسيحي لعنان محمد، اهتم الكاتب بالكشف عن حقائق أغفلها التاريخ المسيحي أو تغافل عنها رغم أنها من أصول العقيدة المسيحية، كمسألة صلب المسيح

وراية الصليب وطبيعة المسيح وتسمية المسيحية بهذا الإسم ورفض تسمية النصرانية والفرق المخالفة للرأي الغالب في هذه المسائل.

(4)– المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبر، ترجمة عبد الحليم محمود، درس فيه الكاتب المسيحية دراسة نقدية، خاصة شخصية بولس حياته وأفكاره ورسائله وأثرها على العهد الجديد، وكان يرى أن تحولات بولس تبديد للمسيحية.

خطّة البحث:

مقدمة.

المبحث الأول: – التحولات الكبرى في المسيحية.

المطلب الأول: – تعاليم المسيح و التحولات الكبرى في المسيحية.

المطلب الثاني:– تعريف المسيحية.

المطلب الثالث: — مسيحية أم نصرانية.

المبحث الثاني:– تعريف التجديد.

المطلب الأول: – التجديد في المعاجم العربية.

المطلب الثاني:– التجديد في المعاجم المسيحية.

المبحث الثالث:– التحولات الكبرى في المسيحية من خلال "محطة بولس الطرسوسي".

المطلب الأول: – إسمه و كنيته.

المطلب الثاني:– نسبه و نشأته.

المطلب الثالث: – أفكاره و صراعه مع خصومه.

المطلب الرابع:– دعوته للأمم الوثنية.

المبحث الرابع:– رحلاته الدعوية.

المطلب الأول: – الرحلة الأولى.

المطلب الثاني: – الرحلة الثانية.

المطلب الثالث: – الرحلة الثالثة.

الخاتمة: وهي عبارة عن نتائج لهذا البحث.

المبحث الأول: التحولات الكبرى في المسيحية:

بعد حادثة صلب المسيح وبعد اعتناق بولس الطرسوسي المفاجئ للديانة المسيحية حدثت تحولات كبرى في هذه الديانة بشكل تدريجي وعبر محطات كبرى ثلاث، وكان من أهم هذه المحطات محطة بولس الطرسوسي.

المطلب الأول: تعاليم المسيح والتحولات الكبرى في المسيحية:

المسيح عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل وخاتمتهم، يتصل نسبه بداود عليه السلام كما ذكر مؤرخو الديانة المسيحية نقلا عن إنجيل متى ولوقا، ثم إن متى يفتتح إنجيله بشجرة نسب المسيح وهي شجرة تضم أربعة عشر جيلا من إبراهيم إلى داود عليهم السلام، وأربعة عشر جيلا من داود عليه السلام إلى المنفى في بابل، وأربعة عشر جيلا من المنفى في بابل إلى المسيح عليه السلام.[1]

وأشار إلى هذا المعنى مارتن لوثر في كتابه "كون يسوع المسيح ولد يهوديا" قائلا: سوف أسوق النصوص الواردة في الكتاب المقدس التي تدل على أن يسوع المسيح كان يهوديا، ولد من عذراء ثم يقول: "... يجب أن نتذكر أننا مجرد أغراب، أما اليهود فيتصل نسبهم بالمسيح. نحن أغراب وأباعد أما هم فأقارب وبنو عمومة وإخوة للرَب..."[2]. وعلى هذا الأساس فإن العقيدة التي جاء بها المسيح هي عقيدة التوحيد باعتبار أن أنبياء بني إسرائيل كلهم جاءوا بهذه العقيدة، ومن المعلوم أن اليهودية التي جاء بها موسى ابن عمران عليه السلام كانت حريصة على غرس هذه العقيدة في شعب بني إسرائيل، ونصوص العهد القديم تشهد بذلك.

فالمسيح بعثه الله ليكمل شريعة موسى وليصحح ما أفسده الأنبياء الكذبة والفريسيون، و مصداق ذلك ما جاء في إنجيل متى الإصحاح 5 الآية 17: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"[3]، ومع ذلك إعتبره اليهود وخاصة منهم الفريسيون والصدوقيون نبي من الأنبياء الكذبة، ولذلك كان جزاؤه الحكم عليه بالهرطقة والحرمان ثم الصلب كما في الرواية اليهودية والرواية المسيحية، أما الرواية الإسلامية فهي تصدق ما تعرض له السيد المسيح عليه السلام من تكذيب ومضايقات ثم الحكم عليه بالهرطقة والحرمان ومن ثمة الحكم عليه بالصلب لكنها تنفي تنفيذ صلب المسيح. وترى أن الله تعالى رفع السيد المسيح عليه السلام إليه ولم يصلب، و أما الرجل المصلوب فهو شبه له، مستندة في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾"(النساء، 157-158).

وبعد حادثة الصلب قام تلاميذ المسيح من بعده بمهمة الدعوة إلى المسيحية الديانة الجديدة، وفي غضون ثلاث مائة سنة حدثت تحولات كبرى عبر محطات متعددة في هذه الديانة الجديدة، تحولات إختلف الدارسون من العلماء والمؤرخين في شأنها أهي من قبيل التجديد في الديانة المسيحية أم من قبيل التبديد والانحراف بها عن أصولها وعقائدها، أشرنا إلى ثلاثا من هذه التحولات وركزنا على واحدة وهي كما يلي:

1– محطة بولس الطرسوسي والتي أثيرت فيها مسألتين جوهريتين، **أما المسألة الأولى** وهي طبيعة المسيح والتي ارتبطت بحادثة صلب المسيح وقيامته من بين الأموات ثم عقيدة التجسد والفداء والخلاص. **أما المسألة الثانية** وهي دعوة الأمم الوثنية من الرومان واليونان وما ترتب عليها من تحولات وتنازلات في الديانة المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام، بداية بالتنازل عن الناموس وشريعة موسى وخاصة شريعة الختان ثم الانفصال عن الديانة اليهودية وإدخال كثير من العقائد الوثنية المتأثرة بالفلسفة اليونانية.

2– محطة الأمبراطور قسطنطين واحتضانه المسيحية ودفاعه عنها ثم اعتناقه إياها، وفي هذه المحطة **أثيرت مسألتين، أما المسألة الأولى** وهي ابتداعه راية الصليب التي جعل منها راية الدولة الرومانية ثم راية الديانة المسيحية فيما بعد. **وأما المسألة الثانية** وهي مجمع نيقية سنة 325م وما ترتب عنه من فرض عقيدة التثليث على جميع المسيحيين والحكم على الموحدين من الأريوسيين بالهرطقة والحرمان.

3– محطة الإصلاح البروتستانتي وما قام به مارتن لوثر من إصلاحات سنة 1517م بداية بمبادئ ال95 وما جاء فيها من اعتراضات على الكنيسة. أسفرت على ما عرف بالمبادئ الخمسة للتجديد الديني المسيحي. هذه المبادئ غيرت الوجه الديني المسيحي لألمانيا أولا ثم أوروبا ثم العالم أجمع، كانت سببا في انقسام الكنيسة وظهور المذهب البروتيستانتي أو ما يعرف بالإنجيليين، وبروز شخصيات أسهمت في التجديد المسيحي في أوروبا وأمريكا وبقية دول العالم بما فيهم العالم العربي أمثال كالفن وزفينغلي، ثم بروز شخصيات أخرى أمثال وليام بلاكستون وبات روبرتسون وجيري فولويل أسهمت هذه الشخصيات في التقارب اليهودي المسيحي من خلال فكر جديد زرع بذوره مارتن لوثر.[4]

المطلب الثاني: تعريف المسيحية:

الفرع الأول: لغة:

جذر كلمة "مسيحية" يأتي من كلمة المسيح التي تعني "من وقع دهنه" أو "الممسوح بالدّهن المقدّس"، و م. س.ح." مصدر صناعي للديانة المسيحية التي جاء بها السيد المسيح.

سمي المسيح بذلك لصدقه وقيل سمي به لأَنه كان سائحاً في الأَرض لا يستقرّ، وقيل سمي بذلك لأَنه كان يمسح بيده على العليل والأَكمه والأَبرص فيبرئه بإِذن الله. قال الأَزهري أُعرب اسم المسيح في القرآن على مسح وهو في التوراة مَشيحا فعُرِّبَ وغُيِّرَ كما قيل مُوسَى وأَصله مُوشَى وأَنشد يقول: "إِذا المِسِيحُ يَقْتُل المِسِيحا" يعني عيسى بن مريم يقتل الدجال بنَيْزَكه، وقال شمر سمي عيسى المِسِيحَ لأَنه مُسِحَ بالبركة وقال أَبو العباس سمي مَسِيحاً لأَنه كان يَمْسَحُ الأَرض أَي يقطعها وروي عن ابن عباس أَنه كان لا يَمْسَحُ بيده ذا عاهة إِلاَّ بَرأَ وقيل سمي مسيحاً لأَنه كان أَمْسَحَ الرِّجْل ليس لرجله أَخْمَصُ وقيل سمي مسيحاً لأَنه خرج من بطن أُمه ممسوحاً بالدهن.[5]

الفرع الثاني:– اصطلاحا:

فالمسيحية عند المسيحيين ليست ديانة كما هو شائع ومعروف، بل هي إيمان بالسيد المسيح وبما فعله لأجل البشرية. والتسمية الصحيحة هي "الإيمان المسيحي". كما أنها ليست "النصرانية" لأن هذه التسمية غريبة عن الكتاب المقدس وعن تاريخ الإيمان المسيحي منذ بدايته وحتى الآن... وكل مسيحي حقيقي يؤمن بوجود إله واحد، وهذا الإله أعلن عن نفسه بطرق متنوعة ورائعة...وكان قصد الله دائماً أن يتوب الإنسان وأن يعود إليه.

لكن في النهاية أخذ الله جسداً بشرياً هو "السيد المسيح" وجاء إلى عالمنا وعاش كإنسان كامل من دون خطية، ليفدي الإنسان من الخطية ومن عقابها الأبدي وليكون لكل من يؤمن بالمسيح حياة أبدية. فخطة الله لكل إنسان هي الخلاص من الخطية وسلام كل أيام الحياة، وفرح إلهي دائم، ومشاركة محبته مع غيره من البشر[6].

ومع ذلك نورد التعريف الشائع للمسيحية عند المسيحيين وعند غيرهم تعميما للفائدة وسعيا وراء الدراسة الموضوعية .

أ– تعريف المَسِيْحيَة عند المسيحيين:

هي ديانة سماوية ذات جذور يهودية تقوم تعاليمها على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، تتمحور حول شخصية المسيح عليه السلام بشكل خاص الذي يعتبر في العقيدة المسيحية متمم نبؤات المسيح المنتظَر، وابن الله المتجسد؛ الذي قدّم في العهد الجديد ذروة التعاليم الروحيّة والاجتماعية والأخلاقية، أيّد أقواله بمعجزاته؛ كان مخلّص العالم بموته على الصليب وقيامته، والوسيط الوحيد بين الله والبشر، ينتظر المسيحيون مجيئه الثاني الذي يختم بقيامة الموتى حيث يثيب الله الأبرار والصالحين بملكوت أبدي سعيد.

تعتبر المسيحية أكبر ديانة في العالم من حيث عدد المعتنقين يبلغ عدد أتباعها 2.4 مليار مسيحي أيّ حوالي ثلث سكان العالم، كما تعتبر المسيحية دين الأغلبية السكانية في 126 دولة من أصل 197 دولة في العالم.

ب– التعريف المسيحية عند المسلمين:

هي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديدين، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.[7]

يظهر من خلال هذه التعريفات أن المسيحية عند المسيحيين تتمحور جميعها حول شخصية المسيح عليه السلام وتضحيته بنفسه ليفدي البشرية ويخرجها من اللعنة المتوارثة التي حلت بها منذ خطيئة آدم عليه السلام، بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات، تقوم تعاليمها على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وأن المسيحيون ينتظرون مجيئه الثاني بعد قيامة الموتى.

وعليه نخلص إلى نتيجة أن الاختلاف بين هذه التعريفات هو اختلاف لفظي لا ينبني عليه عمل ولا يثمر اختلافا في الأصول، وأن كل التعريفات المسيحية تركز على محورية السيد المسيح في الديانة المسيحية كما رسمها بولس الطرسوسي. أما تعريف المسلمين للمسيحية فهو تعريف يقوم على نقد مسيحية بولس الطرسوسي التي ابتعدت عن أصولها الأولى لامتزاجها بالمعتقدات والفلسفات الوثنية.

المطلب الثالث: مسيحية أم نصرانية:

يعتقد المسيحيون بشتى طوائفهم أن التسمية الصحيحة للديانة التي يعتنقونها هي **المسيحية** ويرفضون تسميتهم **بالنصارى** التي يسميهم بها المسلمون، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل وردت لفظة مسيحي في المصادر المسيحية خاصة العهد الجديد بما في ذلك الأناجيل الإزائية (المتشابهة) الثلاثة ورسائل بولس وأعمال الرسل؟

بعد استقرائنا وتتبعنا لأسفار العهد الجديد وجدنا أن مصطلح مسيحي ومسيحيين وردت ثلاث مرات وهي كما يلي:

1- في سفر أعمال الرسل حيث يقول لوقا: "ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا" أي المنتمين للمسيح أو أتباع المسيح.

إلا أن لوقا لم يوضح ممن وردت هذه التسمية، لكن يفهم من سياق الكلام أن الوثنيين الأنطاكيين كانوا يلقبونهم بهذا الاسم تمييزا لهم عن غيرهم على أنهم طائفة من أتباع المسيح.

2- جاء في رسالة بطرس الأولى الإصحاح 4 العدد 16: "ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل".

3- وجاءت على لسان الملك الروماني الوثني أغريباس وهو يخاطب بولس الرسول قائلا: "بقليل تقنعني أن أصير مسيحيا".[8]

يبدو من هذا الخطاب المقتضب أن الملك أغريباس استعمل عبارة مسيحي من باب التهكم والسخرية.

وعليه نخلص إلى نتيجة أن لفظة مسيحي أستعملها خصوم المسيحيين للسخرية والتهكم والشتيمة وهو ما تؤكده دائرة المعارف الكتابية في قولها: "إن كلمة مسيحيين سكها الوثنيون من سكان أنطاكية عندما انفصلت الكنيسة عن المجمع اليهودي وحلت محل المجمع جماعة كانت غالبيتها من الأمم الذين آمنوا بالمسيح.[9]

والذي يزيدنا تأكيدا على صحة ما ذهبنا إليه تصريحات جملة من العلماء والمفسرين المسيحيين ومنهم:

1- المفسر هوارد مارشال حيث يقول إن إسم مسيحيين كان مستعملا في روما وآسيا الصغرى وأنطاكية، إلا أنه أول ما استعمل في أنطاكيا، ومن المحتمل أنه كان يتضمن عنصر السخرية. أما المسيحيون الأوائل فكانوا يفضلون استعمال أسماء أخرى مثل التلاميذ والقديسين والإخوة.

2- يجزم تادرس يعقوب المالطي أشهر المفسرين المعتمدين في الكنيسة العربية بأن لفظة مسيحيين كانت تتضمن في بداية استعمالها من طرف الوثنيين الأنطاكيين معنى السخرية والتهكم وهو يعلق على قول أغريباس لبولس: "بقليل تقنعني أن أصير مسيحيا". أعمال الرسل 26-28: "إنك تدعوني مسيحيا كما لو كان هذا الاسم لعنة لمن يحمله ... أما عن سخريتك بي بدعوتي مسيحيا".[10]

وخلاصة القول أن لفظة مسيحي عند ظهورها لأول مرة كانت تحمل معنى الإهانة والإحتقار والسخرية ولذلك رفضها أتباع المسيح وكانوا يحبون أن يتسموا بالتلاميذ والإخوة تمييزا لأنفسهم عن غيرهم من اليهود، خاصة إذا علمنا أن بولس كان يسعى إلى الإنفصال عن اليهودية، ومما يؤكد عدم تقبلهم لهذا الاسم أنه لم يشع ولم ينتشر بين الناس إلا في القرن الثاني للميلاد، فلو تقبلوه لشاع بين الناس في ذلك الحين.

ومما يدعيه المسيحيون أن **تسميتهم بالنصارى** إنما هو من صنيع المسلمين، فما مدى صحة نسبة هذه التسمية إلى المسلمين؟

وإن كان المسيحيون يدَعون أن تسميتهم بالنصارى إنما هو من صنيع المسلمين –ولذلك فهم يرفضون هذه التسمية–، فإن كتب المسيحيين ذاتها هي خير دليل وخير موجه للإجابة على هذا السؤال، فلنترك لها المجال للكشف عن الحقيقة.

جاء في كتاب تاريخ ابن العبري وهو من أعلام التاريخ المسيحي متحدثا عن جالينوس المولود سنة 131م قائلا: "قال جالينوس في شرحه لكتاب أفلاطون في الأخلاق: "إن هؤلاء القوم الذين يسمون **نصارى** تراهم قد بنوا مذهبهم على الرموز والمعجزات وليسوا بأقل من الفلاسفة الحقيقيين بأعمالهم. يحبون العفة ويدمنون الصوم والصلاة ويجتنبون المظالم، وفيهم أناس لا يدنسون بالنساء".[11]

أما كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأنبا إيسيذورس حين ترجم لكليمنضس الإسكندري قال هو تيطس فلافيوس من آباء الكنيسة المشهورين ولد في مدينة الإسكندرية فنسب إليها في أواسط القرن الثاني وتوفي نحو سنة 215م، كان متضلعا بالفلسفتين الرواقية والأفلاطونية و**خالط المعلمين النصارى**، فأثر فيه ما سمعه منهم وخصوصا من ينتيوس فاهتدى إلى **النصرانية** ... وكان من جملة تلامذته أوريجانوس".[12]

كما ورد في القانون الرابع عشر من كتاب قوانين هيبوليتس لإثناسيوس: "لا يصير **نصراني** جنديا إلا إذا ألزمه قائد له السيف، و لايدع عليه وزر دم، فإذا أهرق دما فلا يتناول من السرائر إلى أن يتطهر بأدب وبكاء... ولا تكون تقدمته بخداع بل بخوف الله".[13]

والنتيجة أنه: يتبين من خلال هذه النصوص أن مصطلح **نصارى ونصرانية** كان مستعملا منذ القرن الأول والثاني للميلاد، أي قبل بعثة نبي الإسلام بحوالي ست مائة سنة وأن ما يدعيه المسيحيون فكلام يفتقر إلى دليل ومخالف للحقائق التاريخية.

المبحث الثاني: تعريف التجديد :

المطلب الأول:– التجديد في المعاجم العربية:

الفرع الأول:– التجديد في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: جدَ جداً بفتح الجيم ولها عدة معاني منها: إذا عظم، قال تعالى: "وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا"، ومنها صار ذا حظ، ومنها في الأمر اجتهد، ومنها الشيء فيه جدَة بكسر الجيم وحدث بعد أن لم يكن وصار جديدا ومن معانيها كذلك القطع يقال جدَ النخل إذا قطع ثمره وجدَد الشيء إذا صيرَه جديدا ويقال جدَد العهد، وتجدَد الشيء إذا صار جديدا، واستحدث الشيء إذا صيره جديدا.[14]

وجاء في لسان العرب لابن منظور رجل جديد إذا كان ذا حظ من الرزق، والجد بفتح الجيم الحظ والسعادة والغنى. وجددت الشيء أجده بضم الجيم أي قطعته، وحبل جديد أي مقطوع. يقال ثوب جديد يراد به حين جدَه الحائك أي قطعه. وجدَ الثوب صار جديدا وهو نقيض الخلق. وتجدد الشيء صار جديدا وأجدَه وجدَده واستجدَه أي صيَره جديدا.[15]

وكل هذه المعاني يسعها المعنى الاصطلاحي للتجديد الذي يحمل في طياته أولا الجد ثم الاجتهاد، فلا هزل ولا كسل في عالم التجديد، ثم هو القطع لكل قديم لا يتماشى مع العصر ويعرقله فيحدث الجديد بعد أن لم يكن، ولا يفعل ذلك إلا صاحب الحظ فيعظم شأنه وهذا حال المجددين فطريقهم صعبة وعرة.

الفرع الثاني:– تجديد الدين في الاصطلاح:

إنَّ تجديد الدين لا يعني اختراع إضافة لدين الله، وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة"[16].

ويعرفه الدكتور يوسف القرضاوي قائلا:" تجديد الدين هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما صار منه واهيا ضعيفا وترميم ما أصبح باليا قديما، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.

فالتجديد ليس معناه أن تزيل القديم، وتنشئ بدله شيئاً جديداً، فهذا ليس من التجديد في شيء، إن تجديد الشيء أن تبقيه على جوهره ومعالمه وخصائصه وأن ترمم منه ما بلي، وتقوي من جوانبه ما ضعف.

إن تجديد الدين يعني تجديد الإيمان به وتجديد الفهم له والفقه فيه، وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه " [17].

وعليه فالتجديد لا يعني إضافة للدين ما لا ليس منه وإنما هو إبقاؤه على أصله وجوهره مع تنقيته من الشوائب التي تراكمت عليه، وتقديمه في صورته الأولى التي كان عليها في أول أمره في زي جديد غير مألوف ولا شائع تخرج عن النمط المعروف والمتَّفق عليه بين الناس، لمحاولة بعث روح جديدة في هذا الدين.

المطلب الثاني:– التجديد في المعاجم المسيحية:

الفرع الأول: لغة: تستخدم كلمة تجديد في المصادر المسيحية لتأدية جملة معاني منها:

1– تجديد الأشياء المادية مثل تجدد وجه الأرض أي يعطي الأرض مظهرا جديدا بأن يجعلها زاهرة ناضرة.

2– قال صموئيل للشعب: "هلموا نذهب إلى الجلجال ونجدد هناك المملكة "(1صم 11:14) أي لنحتفل بمسح الملك شاول رسميا أمام الرب في الجلجال.

3– جاء في سفر إشعياء: "أما منتظرو الرب فيجددون قوة" (إش41: 31) أي يستعيدون قوتهم الروحية". [18]

والملاحظ أن استعمال كلمة جديد في الأسفار التاريخية في العهد القديم كانت تركز غالبا على الجدة من الناحية الزمانية، بينما الأسفار الشعرية والأسفار النبوية كانت تركز على الجدة في النوع.

ومنه نخلص إلى نتيجة وهي أن كلمة تجديد في أسفار العهد الجديد تشير دائما إلى تجديد القوة الروحية كما جاء في رسائل بولس مثل رومية12: 2 و أف4: 23.

الفرع الثاني:– إصطلاحا:

هو الإيمان بإعادة تجديد العالم كما جاء في إنجيل(متى 19: 28) والتجديد بهذا المفهوم يعني آخر مراحل التطور للخليقة بأسرها، والتي تتحقق بها مقاصد الله في الخليقة عندما يكون قد أخضع كل شيء تحت قدميه كما جاء في رسالة بولس إلى كورنثوس 15: 27. هذا التجديد يعني تحديث كل الأشياء المنظورة عندما تمضي الأشياء العتيقة، وتصبح السماء والأرض جديدتين كما جاء في سفر الرؤيا 21: 1. كما لا يمكن تصور تجديد بالمفهوم الأخروي بدون تجديد روحي للبشرية أو للفرد.

لم يغفل بولس احتياج الإنسان إلى التجديد فهو ضروري لخلاص الجميع، إذ يقول: "فالجسد ميت بسبب الخطية" رو8: 3-11. ويقول في موضع آخر: "الأشياء العتيقة قد مضت وهو ذا الكل قد صار جديدا"(2كو:5-17). وفي تفسير هذا النص يقول يوحنا ذهبي الفم إنه خلال المسيرة الطبيعية لعجلة الزمن وحركة التاريخ حدث تحول جوهري في الخليقة تمثل في حضور الله ذاته بين البشر لأجل خلاصهم، فالله الذي خلق الكون من العدم هو ذاته يجدده مرة أخرى ويغيره جذريا وينشئ خليقة جديدة. فظهور الإنسان الجديد –آدم الجديد- كما يدعوه بولس هو الذي أدى إلى تجديد العالم كله، وهو ما طبقه بولس على المستوى الشخصي فقد تحرر من كل إرث الماضي وقيود الناموس وأصبح إنسانا جديدا تماما، ينعم بكل عطايا الروح القدس وهبات الحياة الجديدة في المسيح. [19]

والتجديد تغيير جذري يغير الإنسان ويجعله خليقة جديدة، يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس: "إنسانا جديدا مخلوقا بحسب الله في البر و قداسة الحق" أف4: 24. ويرى بولس فيما كتبه في رسالته إلى رومية 8: 31-32 أن تجديد المومنين دون اعتبار لقومياتهم هي المرحلة الأولى لتجديد الخليقة ورجوعها للرب.

المبحث الثالث:- محطة بولس الطرسوسي:

المطلب الأول: بولس إسمه و كنيته:

عرف بولس باسم القديس أو رسول الأمم وهو أحد أهم أعمدة الرسل في الكنيسة المسيحية الأولى، بل يمكن اعتباره الشخصية الأهم في التاريخ المسيحي بعد شخصية يسوع الناصري، وكان اسمه (شاول الطرسوسي) قبل أن يصير اسمه بولس وتعني (الصغير).

حتى أن مايكل هارت في كتابه الخالدون المائة جعله الشخصية السادسة عالميا من حيث الأهمية والتأثير وجعل السيد المسيح عليه السلام في المرتبة الثالثة، في حين لم يذكر تلاميذ المسيح في كتابه ولم يشر إليهم لا من قريب ولا من بعيد.[20]

المطلب الثاني:- نسبه و نشأته:

ترجع أصول هذا الرجل إلى عائلة يهودية تتمتع بصفة المواطنة الرومانية، نشأ بولس في (طرسوس) وتلقى تعليمه فيها، قبل أن يشد الرحال إلى أورشليم لاستكمال تعليمه الديني اليهودي هناك، بعد حادثة صلب المسيح.

ورد في سفر أعمال الرسل أن إسم بولس العبري هو شاول جاء في الآية 9/13: " وأما شاول الذي هو بولس أيضا... " ومن هذا الموضع من سفر الأعمال إلى آخر السفر كان يذكر إسم بولس.

ولد بولس لأبوين يهوديين من سبط بن يامين في طرسوس في السنة العاشرة للميلاد تقريبا فسمياه شاول تيمنا باسم أول ملوك بني إسرائيل، كانا على مذهب طائفة الفريسيين، جاء في سفر أعمال الرسل الآية 21/ 39: "فقال بولس أنا رجل يهودي طرسوسي من مدينة غير دنية من كليكية". وفي نفس السفر الآية 6/23: "ولما علم بولس أن قسما منهم صدقيون والآخر فريسيون صرخ في المجمع أيها الرجال الإخوة: أنا فريسي بن فريسي".

نشأ بولس وأمضى طفولته في مدينة طرسوس عاصمة ولاية كيليكية من أعمال الأمبراطورية الرومانية في جنوب شرق آسيا الصغرى، إشتهرت هذه المدينة حتى نافست أثينا في شهرتها، وكانت لغة أهلها اللغة اليونانية وقد عرفوا بدراسة الفلسفة كما تجدر الإشارة إلى أن مركز الديانة الميثرائية الوثنية كان مقره في ولاية كيليكية. [21]

حرص والداه على تعليمه منذ نعومة أظافره حتى أتقن اللغتين العبرية واليونانية وفاق أقرانه وامتاز عليهم بذكائه الشديد، عرف بين الناس بغيرته على الدين ودفاعه عن الكتب المقدسة بكل صرامة، فلما لاحظ والداه منه ذلك أرسلاه إلى أرشاليم (القدس) رغبة منهما في زيادة تعليمه ناموس أجداده.

ففي القدس وتحديدا عند شيخه غمالائيل أتيح لبولس أن يطلع جيدا على المؤلفات اليونانية إلى جانب دراسته التقاليد اليهودية و الشرائع الموسوية فزادت غيرته على الدين وفاق أترابه في الدراسة، يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية 14/1: وكنت أفوق أكثر أبناء جيلي من بني قومي في ديانة اليهود وفي الغيرة الشديدة على تقاليد آبائي". [22]

كما أتيح لبولس أن يتعلم فنون الحجاج و الجدل و المناقشة في مدرسة غمالائيل.

إلا أننا نلاحظ أن شارل جينيبر يضعف القول أن بولس تلقى علومه الدينية في القدس عند شيخه غمالائيل ويرجح أنه أكمل تعليمه الديني في أنطاكية، ويبرر رأيه هذا بأن بولس أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت تسود معابد المهجر التي كانت متأثرة بالفكر اليوناني. [23]

المطلب الثالث:– أفكاره و صراعه مع خصومه:

ولما كان بولس يقول بأنه ليس من الضروري أن يحفظ الأمميون ناموس موسى وشرائعه فقد كرهه الأبيونيون كرهاً شديداً وكان بولس يقاومهم في رسائله. فمن هم الأبيونيون؟ [24]

تذكير: يجب التنبيه إلى أن كل ما كتب عن فرقة الأبيونيين هي من كتابات الخصوم القائلين بالتثليث أمثال أوريجانوس ويوسابيوس القيصري وغيرهما.

دعم شارل جينيبر رأيه بشهادة الأبيونيين أن بولس الرسول لم يولد يهوديا بل إعتنق اليهودية وهو في طرسوس، ثم جاء إلى القدس بالغا راشدا ثم دخل في خدمة الكاهن الأكبر، غير أن آماله في أن يصير مشهورا لم تتحقق في خدمة الراهب الأكبر، فراح يسعى إلى تأسيس دين جديد.[25]

على الأرجح أن بولس هو أول من دعا في المسيحية إلى التحول من القول بأن المسيح عبد الله ورسوله إلى القول أن المسيح إبن الله. قال سعيد بن البطريق: "وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة أنطاكيا ونظروا في مقالة بولس فأوجبوا عليه اللعن، فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا.[26]

غير أن سفر أعمال الرسل هو السفر الذي استوعب أكثر حياة بولس ونشاطه في الدعوة والرحلات التي قام بها، مع الملاحظة أن المعلومات الواردة في سفر أعمال الرسل ليست ثابتة تاريخيا ولم تسلم من نقد المحققين.[27]

يعتبر بولس أشهر كتبة العهد الجديد على الإطلاق، فقد كتب أربعة عشر رسالة بما يعادل نصف العهد الجديد، كما يعتبر مؤسس النصرانية الزمانية المحرفة و واضع عقائدها.

وعند التحري والبحث واستقراء نصوص العهد الجديد تبين أن رسائل بولس ليست إلا النصوص الأولى للعهد الجديد مادام أنها كتبت بين سنة50م و60م، بينما لم تكتب أناجيل العهد الجديد التي وصلت إلينا إلا بين70م و110م، أي أن مؤلفي هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التي كتبت قبل أناجيلهم وتشربوا بأفكاره وتأويلاته لأعمال المسيح.

والذي يؤكد صحة ما ذهبنا إليه أن لوقا مؤلف أعمال الرسل وصاحب إنجيل لوقا كان من أتباع بولس وأنصاره، ولذلك لم تختلف أفكار إنجيله ومعلوماته وكذا أعمال الرسل ومعظم ما جاء في أناجيل العهد الجديد عما جاء في رسائل بولس. فقد صرح في "أعمال الرسل" أن ثمة خلافا بين بولس وبين أتباع عيسى عليه السلام الذين كانوا على قيد الحياة ومازالوا يشرفون على كنيسة القدس. ونفس المعلومة ذكرها بولس في رسالته إلى أهل غلاطية وهي أن الخلاف بين بولس وأتباع عيسى عليه السلام كان خلافا حادا.[28]

وعليه نخلص إلى نتيجة أن المحطة الأولى للتحولات التي حصلت في المسيحية هي محطة بولس الطرسوسي اليهودي الفريسي الذي صرح هو قبل تلاميذه وخاصة تلميذه لوقا في "أعمال الرسل" أن بولس كان على خلاف حاد مع أتباع المسيح عليه السلام، هذا الخلاف بيَن طبيعته يوسبيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة حين تحدث عن فرقة الأبيونية فقال عنهم: "إنهم ظنوا أنه من الضروري رفض كل رسائل بولس الرسول الذي قالوا عنه بأنه مرتد عن الناموس ثم إنهم استعملوا فقط ما يدعى إنجيل العبرانيين (إنجيل متى)، ولم يبالوا كثيرا بالأسفار الأخرى ".

وأما تبرير موقفهم هذا من بولس فلكونهم يعتقدون في المسيح عليه السلام أنه ابن الإنسان ذو طبيعة ناسوتية أو كما عبر عنه يوسابيوس عن معتقداتهم في قوله: "اعتبروا السيد المسيح إنساناً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمرة لإجتماع رجل معين مع مريم." ولأنهم كانوا يعتقدون أنه يجب ومن الضروري جدا الاحتفاظ بالناموس وبشريعة موسى على أساس أنهم لا يستطيعون أن يخلصوا بالإيمان بالمسيح فقط وبحياة مماثلة.[29]

ولأن المسيح عليه السلام كان دائما يقول كما **جاء في إنجيل متى الإصحاح 5 الآية 17**: **"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"** فإذا كان المسيح جاء ليكمل الناموس لا لينقضه، وجاء من بعده تلاميذه وأتباعه ليلتزموا بتعاليمه، ثم يأتي بولس ويريد أن يكتفي برسائله المشبعة بالفلسفة اليونانية الغنوصية وبالأناجيل راغبا عن الناموس ومبدلا لتعاليم المسيح ويحدث كل هذا التغيير متحديا أتباع المسيح، حتى قال المؤرخون في الشأن المسيحي إستطاع بولس أن ينتصر على كل ما فعله المسيح على الأرض وأن يجعل من عقيدته الجديدة، ولو بعد حين دينا رسميا للأمبراطورية الرومانية.[30]

وهنا يطرح سؤال مهم وهو هل هذا كل ما فعله بولس؟ والإجابة أن هناك عمل آخر قام به بولس لا يقل خطورة عما سبقه من الأعمال والذي كان السبب المباشر في هذه التحولات الكبرى، فما هو هذا العمل؟

المطلب الرابع:- دعوة الأمم غير اليهودية للدين الجديد:

خرج بولس لدعوة الأمم الوثنية مخالفا بذلك دعوة المسيح عليه السلام الذي بعثه الله خصيصا لبني إسرائيل، فهو الذي كان يصرح في الأناجيل قائلا:" إنما بعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة". ثم إن فكرة التبشير بين الوثنيين لم تخطر على بال الحواريين وهم الأوفياء لتعاليم المسيح عليه السلام، بل إن التبشير بالإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية يعد ضربا من المحال، ولذلك انحصرت دعوتهم في القدس.

فما هي الأسباب التي دفعت بولس إلى دعوة الأمم خارج فلسطين و إلى ماذا كان يدعو؟

كانت مأساة المسيح عليه السلام وأتباعه من بعده أنهم وجدوا وسط قوم كانت أعظم مواهبهم تزوير التاريخ وهم اليهود وخاصة منهم الفريسيين، وأما مصيبتهم الثانية أنهم عاشوا في أمبراطورية كانت أشهر فضائلها القوة وهم الرومان. في إطار هذه المعادلة الصعبة تعرض المسيح عليه السلام وأتباعه من بعده لإضطهاد دام أكثر من ثلاثة قرون عاشوا فيها التقتيل بكل أنواعه –حرقا و شنقا، تغريقا وتفريقا للأعضاء وصلبا– ثم السجن والتنكيل بكل أنواع العذاب ثم النفي والتهجير من البلاد.

طبعا كان هذا الاضطهاد مبررا كافيا للتبشير خارج فلسطين خاصة إذا كان بولس يدَعي أن المسيح هو من أوصاه بذلك كما جاء في رسائله. وعليه يمكن إعتبار الإضطهاد الذي تعرضت له المسيحية هو السبب الأول لدعوة الأمم، أما السبب الثاني فهو ادعاء بولس أن المسيح كلفه بذلك كما أخبر في رسائله.

وهو القائل في صراحة جريئة: "أنا الوحيد المؤتمن على المسيحية الصحيحة وعلى إنجيل مجد الله المبارك وأن كل من يخالف ما يقول به من تعاليم كلام باطل دنس مخالف للعلم كاذب الإسم، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان، ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام.[31]

ادّعى بولس أن المسيح عليه السلام رسَمه كرسول لجميع الأمم، ثم زعم لنفسه بأنه مرسل إلى جميع البشر، وفي هذا يقول في رومية (13/11): (فإني أقول لكم أيها الأمم، بما أني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي). وفي غلاطية (15/1) يقول: (ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم). وفي أفسس (8/3) يقول:(أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم). وهذه الدعوى منه تخالف ما ذكره المسيح عن نفسه وما وصَّى أيضا به تلاميذه، حيث يقول عن نفسه في (إنجيل متى) (24/15): (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). ووصَّى تلاميذه في (إنجيل متى) (5-6/10): قائلا:(لا تقصدوا أرضا وثنية ولا تدخلوا مدينة سامرية بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل). [32]

كان بولس على دراية واسعة بالبيئة السياسة والفلسفة اليونانية كما أشرنا سالفا ولذلك أسس دعوته على محورين.

أما المحور الأول فإنه أدخل على المسيحية بعض تعاليم اليهود قصد أن يجذب إليه أتباعا من اليهود، ولهذا كان يعزف على وتر فكرة يسوع المخلص الذي أنقذ البشرية من الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم بواسطة الفداء والتي تشبه فكرة المسيا التي كان يؤمن بها اليهود.

أما عن المحور الثاني فإنه إستطاع بفضل درايته الواسعة بالفلسفة اليونانية أن يستهوي أفئدة الوثنيين اليونان، حيث كان يقتبس من الطقوس الوثنية ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين، ومن أخطر ما اقتبسه من الفلسفة الوثنية فكرة إتصال الإله بالأرض عن طريق "الكلمة" "logos " أو عن طريق إبن الله.

وبهذا إستطاع بولس أن يفصل دعوة المسيح عن الديانة اليهودية، و ينقلها من شرق العالم حيث مهدها ومهد الرسالات السماوية إلى غرب العالم حيث الفلسفات الوثنية المتضاربة فيما بينها. لم يكتفي بولس بهذه الفكرة الخطيرة بل أضاف لها طقوس وثنية أخرى منها عطلة يوم الأحد الأسبوعية وهي من تقاليد الفلسفة الرواقيية التي تعلمها في طرسوس بكليكية والتي كانت ثقافة مجتمعه، مهملا بذلك يوم السبت

المقدس عند اليهود. كما اقتبس عيد رأس السنة وعيد القيامة وعيد الغطاس ثم أطلق عليها مسميات جديدة. [33]

وكان بولس بعد ذلك على دراية أن الأمم الأخرى الوثنية لا يقبلون شريعة الختان الشريعة اليهودية التي لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، ولهذا فإنه كان يسعى للتكيف مع البيئة الجديدة ولو على حساب دينه الذي يشترط الختان على أتباعه الجدد، فهذا ديدن يهود المهجر الذين عاشوا في الشتات كما أشرت من قبل، وكانت النتيجة أن قبل بولس فكرة إعفاء الأتباع الجدد في ديار الوثنية من بعض أحكام الشريعة اليهودية، واستطاع بدهائه أن يقنع أصحابه من أتباع المسيح بتقبل فكرة التنازل عن بعض من شرائع الناموس شريعة موسى عليه السلام. [34]

المبحث الرابع:– رحلات بولس الدعوية:

قام بولس بثلاث رحلات رسولية وهي كما يلي على التوالي:

المطلب الأول: الرحلة الأولى كانت بين سنتي (45–49) ميلادية:

من أنطاكية بدأ بولس رحلته التبشيرية الأولى رافقه فيها برنابا مرقس، فعبروا البحر إلى قبرص وبعد ذلك إلى جنوب الأناضول، كان بولس ورفاقه يتنقلون من مدينة إلى أخرى ينادون بالخلاص بيسوع المسيح في مجامع اليهود وفي الأسواق والساحات العامة حتى أسسوا جماعات مسيحية جديدة من الوثنيين لينشر فكره الجديد الذي يؤمن به.

حوالي عام 48 م وقعت أزمة بين مسيحيي أنطاكية حول مسألة الختان، فريق من المسيحيين اليهود كان يطالب بضرورة تطبيق شريعة الختان على المسيحيين القادمين من الديانات الوثنية لكي ينالوا الخلاص، أما الفريق الثاني والذي كان يمثله بولس وبرنابا لم يلزما المسيحيين الجدد بالختان، حتى تدخلت كنيسة أنطاكية وتم عقد ما يعتبره مؤرخو الكنيسة أول مجمع كنسي وهو مجمع أورشليم وافقت فيه الكنيسة على مقترحات بولس وبرنابا بأن لا يلزم المؤمنون الجدد بالختان وإنما يكتفى منعهم عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم بحسب وصف كاتب سفر أعمال الرسل.[35]

المطلب الثاني: الرحلة الثانية: وكانت بين (49–52)ميلادية:

كان هدف بولس الرئيسي من تلك الرحلة هو المرور على الجماعات المسيحية التي أقامها في جنوب الأناضول خلال رحلته الأولى لتفقد أحوالها. في هذه الرحلة إستغنى بولس عن خدمات برنابا بسبب شجار وقع بينهما لما أراد برنابا اصطحاب مرقس معهما ورفض بولس صحبته، فكان الفراق بينهما، ومضى بولس في طريقه مع سيلا أحد الوعاظ المسيحيين.

وفي لسترة انضم إليه تيموثاوس وتابع طريقه باتجاه الشمال حتى وصل إلى الدردنيل ومن هناك عبر إلى اليونان. [36]

في تلك البلاد أسس بولس كنائس جديدة في فيلبي وتسالونيكي وبيرية وأثينا وكورنثوس. وخلال إقامته الطويلة نوعاً ما في كورنثوس قام بولس بكتابة رسالتيه الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي حوالي عام 52 م، ومن المحتمل أنه كتب في تلك الفترة أيضا رسالته إلى الغلاطيين، مع أن بعض الباحثين يرجحون احتمال أن تكون هذه الرسالة – المكتوبة في أنطاكية – هي باكورة أعماله، بينما يذهب آخرون إلى أنها كتبت في فترة لاحقة في مدينة أفسس. أبحر بولس بعد ذلك إلى قيصرية في فلسطين ومنها قام بزيارة لأورشليم ومن ثم عاد إلى أنطاكية.

المطلب الثالث:– الرحلة الثالثة:

ويقسمها مؤرخو المسيحية إلى قسمين:

أما **القسم الأول** منها فكان **بين عامي** (**53–58**) **ميلادية**: وكانت وجهة بولس إلى غلاطية ثم إلى فريجية ومنها إلى أفسس ودامت عامين ونصف قضاها في أفسس وكانت أكثر فترات حياته إثماراً، كتب فيها رسالتيه الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس حوالي عام 56 م. بعدها توجه إلى كورنثوس حيث يعتقد أنه كتب فيها رسالته إلى أهل روما، ثم عاد إلى أفسس وبعدها إلى أورشليم حيث اعتقل فيها، وكانت تلك هي زيارته الأخيرة إلى أورشليم بين عامي 57 و 59 م.[37].

القسم الثاني من الرحلة: فكان **بين عامي** (**63–67**) **ميلادية** بعد أسره في أورشليم مدة سنتين حيث أبحر إلى روما ولمدة سنتين قضاها هناك كتب رسالته إلى قولسي وأفسس وفيلبي وإلى تلميذه فيلمون، ثم قام برحلته شرق البحر الأبيض المتوسط (1طيم 3:1 و 5:1) وفي تلك الفترة كتب رسالته إلى طيطس وطيماثيوس، وفي أسره بروما كتب رساته الثانية إلى طيماثيوس. وكان استشهاده في روما إبان اضطهاد نيرون للمسيحيين (أع 28:27).[38]

ملاحظة: من المؤرخين من يقسم رحلات بولس إلى أربعة أقسام ومنهم من يرى أنها ثلاثة أقسام لكن الأحداث هي نفسها، وعليه فالتقسيم مسألة منهجية فقط.

إستطاع بولس خلال هذه الرحلات أن يرسي أسسس الديانة المسيحية الجديدة والتي عرفت فيما بعد بالمسيحية البولسية وأهمها على الإطلاق عقيدة الخلاص وأن عيسى ابن الله، ثم دعوة الأمم إلى اعتناق الديانة المسيحية والتي انجر عنها إلغاء شريعة الناموس شريعة موسى عليه السلام وخاصة شريعة الختان، وبذلك فتح باب التنازل عن أحكام الدين بحجة استقطاب مؤمنين جدد من الأمم الأخرى، وبذلك استطاع أن يفصل المسيحية الجديدة عن الديانة اليهودية.

وعليه نخلص في نهاية المحطة إلى أن هذه التحولات التي قام بها بولس في الديانة المسيحية هي من جنس التبديد في الديانة المسيحية التي أفضت إلى تحريفها وتحويلها من عقيدة توحيدية إلى عقيدة التثليث الشركية، وليست من التجديد المحمود الذي يعتبر سنة في جميع الأديان.

الخاتمة :

لم يكن في الإمكان معرفة حقيقة التحولات الكبرى في المسيحية في محطة بولس الطرسوسي والتي نقصد بها تلك التحولات على مستوى العقيدة من عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام إلى عقيدة التثليث والفداء والخلاص، إلا بعد اطلاعنا على هذه الشخصية في إطارها الجغرافي والتاريخي، فالظروف التي عاشها بولس في هذا الإطار لم يمكن لها إلا أن تصنع منه هذه الشخصية التي تضاربت حولها الآراء،– فريق يرى أنه رسول الأمم والشخصية الثانية بعد المسيح في الديانة المسيحية كما ذكر مايكل هارت، ويمثل هذا الفريق المسيحيون، وفريق ثاني يرى أن بولس انحرف بالمسيحية الأولى التي جاء بها المسيح عليه السلام من التوحيد إلى التثليث، ويمثل هذا الفريق المسلمون–.

كيف لا وهو الذي تربى وترعرع في أسرة يهودية كانت حريصة على تعليمه شريعة موسى عليه السلام حتى تفوق على أترابه كما يصرح هو في رسائله، فكبر وكبر معه الطموح ليكون عالما في الناموس فسافر إلى أورشاليم ليدرس عند الحبر غمنائيل، وهو نفسه الذي أتقن الفلسفة اليونانية وخاصة منها الرواقية في طرسوس التي كانت تضاهي أثينا في الفلسفة، وفي جو الصراعات والانقسامات الدينية التي عرفتها اليهودية ومن بعدها المسيحية في القرن الأول للميلاد كبر وقوي عوده، ولأنه تربى في بيئة يهودية فريسية أعلن حربه على المسيح وأتباعه في المرحلة الأولى من حياته كما يخبر في رسائله، ثم يعلن بعد ذلك أنه رسول الأمم بوحي من المسيح ويبدأ رحلاته لنشر دعوته الجديدة بأفكاره الجديدة، ليصنع أنصارا جدد وكذا خصوم لهذه الدعوة الجديدة.

هذه الظروف مجتمعة صنعت من بولس الطرسوسي هذه الشخصية التي كان لها الدور البارز في هذه التحولات الكبرى على مستوى العقيدة في الديانة المسيحية بداية بمسألة **طبيعة المسيح عليه السلام، إذا كان ذو طبيعة واحدة (ناسوت) أم ذو طبيعتين (ناسوت و لاهوت) هذه القضية التي ظهرت في القرن الأول للميلاد مع ببولس الطرسوسي كإفرازات لحادثة صلب المسيح عليه السلام، ثم التحول من عقيدة التوحيد إلى عقيدة التثليث رسميا في مجمع نيقية سنة325م** والذي أفضى إلى انقسام الديانة المسيحية بعد ذلك إلى **أرثوذوكس** و**كاثوليك ثم فيما بعد بروتستانت** كل له عقائده وطقوسه الخاصة به.

وقد كشف البحث من خلال هذه الظروف إلى حد ما عن طبيعة هذه التحولات أنها من قبيل التبديد الذي يجعل من الدين مجرد طقوس جوفاء والمفضي في النهاية إلى تحريف الدين والعقيدة وليس من قبيل التجديد المحمود الذي يعتبر سنة في كل الديانات والذي يجعل الدين يواكب العصر.

نتائج البحث:

1- يعتبر بولس الطرسوسي الشخصية المحورية التي كان لها الدور الأساسس في التحولات الكبرى في الديانة المسيحية.

2- التحولات الكبرى الأولى في محطة بولس مست أصول العقيدة المسيحية وتحديدا بطبيعة المسيح.

3- التجديد المسيحي بدد أصول الديانة المسيحية ثم أفضى إلى تحريفها من التوحيد إلى التثليث.

4- التنازل عن الناموس وفصل المسيحية عن اليهودية من إفرازات **دعوة الأمم الوثنية** الفكرة تجديدية التي جاء بها بولس الطرسوسي.

5- دعوة بولس الطرسوسي للأمم الوثنية كانت سببا في تسرب العقائد الوثنية الفلسفية للديانة المسيحية.

6- تسمية المسيحية بهذا الإسم كان من الإفرازات السلبية لدعوة بولس الأمم الوثنية.

الهوامش :

[1] هلال رضا، المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا، القاهرة، مكتبة الشروق، ط1، 2000، ص 21

[2] مارتن لوثر، اليهود وأكاذيبهم، دراسة وتعليق النجيري محمود، مصر الجيزة، مكتبة النافذة، ط1، 2007، ص 40-41 .

[3] الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، لبنان، دار الكتاب المقدس، ط30، 1993، إنجيل متى 5: 17، ص9.

[5] مرقص سمير، رسالة في الأصولية البروتستانتية و السياسة الخارجية الأمريكية، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، 2001، ص7-8 -12.

[6] إبن منظور، العلامة جمال الدين أبو الفضل محمد ابن مكرم ابن أبي الحسن ابن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1981، ص4197.

[7] موقع معرفة، ما هي المسيحية، https://www.maarefa.org.

[8] شلبي أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1998، ص88-93-95.

[9] عنان محمد محمد، ما لا تعرفه عن المسيحية حقائق مفقودة في عمق الإيمان المسيحي، الرياض المملكة العربية السعودية، دار التحقيقات العلمية، لاط، لاس، ص 11.

[10] صمويل حبيب القس و آخرون، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة، دار الثقافة، ط2، 1998، ص155.

[11] عنان محمد، ما لا تعرفه عن المسيحية حقائق مفقودة في عمق الإيمان المسيحي، ص12.

[12] ابن العبري غريغوريوس ابي الفرج بن اهرون، تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه الأب أنطون صالحاين اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ط2، 1994، ص123.

[13] إيسيذورس الأنبا، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، مصر، مكتبة دير مريم العذراء، لاط، لاس، ص134.

[14] إثناسيوس، قوانين هيبوليتس القبطية، مصر، دار نوبار، ط1، 2004، ص37.

[15] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجماتو إحياء التراث، شوقي ضيف و آخرون، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص109.

[16] بن منظور، لسان العرب، مادة جدد، ص563.

[16] خان وحيد الدين، تجديد الدين، ترجمة ظفر الإسلام خان، الهند نيودلهي، مطبعة جميل عالم الكتب، 2015 ص5.

[18] القرضاوي يوسف، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، مصر القاهرة، دار الشروق، ط1، 2001، ص 30.

[19] صمويل حبيب القس وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ج2، ص508.

[20] ذهبي الفم يوحنا القديس، دعوة بولس، ترجمة سعيد حكيم يعقوب، مصر، جي . سي . سنتر، لاط، لاس، ص22-23.

[21] مايكل هارت، الخالدون المائة، ترجمة أنيس منصور، مصر، المكتب المصري الحديث، لاط، لا س، ص37.

[22] الملكاوي محمد أحمد محمد عبد القادر، اليهودي شاوول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، الرياض، دار الإسراء للنشر والتوزيع، ط1، 1992، ص19.

[23] الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، غلاطية14/1، ص 9.

[24] اليهودي شاوول بولس الطرسوسي و أثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر الملكاوي، ص24.

[25] الأبيونية باليونانية Ἐβιωναῖοι مشتقة من الكلمة العبرية אביונים إبي אביונים إبيونيم والتي تعني الفقير أو الفقراء، وهو مصطلح يستعمله آباء الكنيسة للإشارة إلى حركة مسيحية يهودية تواجدت في العصور الأولى للمسيحية، كانت تنظر إلى المسيح على أنه الميسيا المنتظر وتنكر ألوهيته وتتبع الشريعة اليهودية، ولا تؤمن إلا بإنجيل العبرانيين (متى) ولا يعترفون ببولس كرسول ويعتبرونه مرتد على تعاليم المسيح عليه السلام إرتبط إسم هذه الطائفة بالفقر، وقد وردت الإشارة إليها بلفظ الفقراء في مخطوطات قمران. غرغوريوس الأنبا، اللاهوت المقارن، شركة الطباعة المصرية، مصر، لاط، 2003، ص28 -29.

[26] شلبي رؤوف، المسيحية الرابعة، مصر، مكتبة الأزهر، لاط، 1980.

[27] سعيد عبد العظيم، إعتقاد النصارى في المسيح، مصر، دار الإيمان، لا ط، لا س، ص70.

[28] اليهودي شاوول بولس الطرسوسي و أثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر الملكاوي، ص13.

[29] هيم ماكبي، بولس و تحريف المسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، لاط، لاس، ص 8.

[30] يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تعريب القمص مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، ط2، 1979.

[31] هيم ماكبي، بولس و تحريف المسيحية، ترجمة عزمي الدين سميرة، ص9.

[32] شلبي رؤوف، المسيحية الرابعة، مصر، مكتبة الأزهر، ط1، 1980، ص58-60-114.

[33] الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، متى10/5-6 ، ص17.

[34] شلبي رؤوف، المسيحية الرابعة، ص58-60-114.

[35] شلبي رؤوف، المسيحية الرابعة، ص63.

[36] رمزي شريف، بولس شخصيته منهجه أفكاره، مصر، مكتبة المحبة، ط2008،1، ص54.

[37] رمزي شريف، بولس شخصيته منهجه أفكاره، ص61-64.

[38] ماكسيموس صموئيل، معلمنا بولس الرسول رسول الأمم، لاد، لاط، لاس، ص33 -34.

[39] رمزي شريف، بولس شخصيته منهجه أفكاره، ص67.